

المصالح الألمانية ومصير الرعايا الألمان في بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى*

الثليبي العجيلي

كلية الآداب بطنجة

إن التطور الاقتصادي الذي عرفته عدة بلدان أوروبية على إثر الثورة الصناعية حتم عليها - أمام تكديس الإنتاج وتشيع أسواقها وضيق مجالات الاستثمار في أوروبا - البحث على مجالات حيوية في بلدان ماوراء البحار. من ذلك أن ألمانيا الحديثة العهد بإتمام وحدتها لم تلبث أن أصبح لها في الربع الأخير من القرن الماضي والعشرة الأولى من القرن الحالي نفوذ ببلدان المغرب العربي آثار إنزعاج فرنسا بالخصوص، فتحركت لتطريقه وجعل المنطقة المذكورة حكرا عليها.

١ - المصالح الألمانية في بلدان المغرب العربي :

١ () التطور الاقتصادي للإمبراطورية الألمانية :

رغم أن بعض البلدان الأوروبية كبريطانيا وفرنسا مثلاً شهدت مبكراً تطوراً سريعاً في إنتاجها الصناعي أقلها لأن تباطؤ الصادرة من حيث مساهمتها في الإنتاج الصناعي العالمي، فإن الأسبقية التي تمتعت بها تلك البلدان في النصف الأول من القرن التاسع عشر انعكست عليها منذ سبعينات القرن المذكور للأعياء الذي أصاب هياكلها، الأمر الذي فسح المجال لبروز قوى صناعية جديدة تميزت بالتدعم

* محاضرة أقيمت بالمركز الثقافي الألماني بطنجة يوم 2 / 5 / 1997

المستمر لمكانتها في الإقتصاد العالمي مقابل بداية تراجع القوى التقليدية ، ومن تلك القوى الجديدة ألمانيا ؛

ففي الوقت الذي تراجعت فيه نسبة الانتاج الصناعي الأنغليزي من الإنتاج الصناعي العالمي من 32 % سنة 1870 إلى 20 % بين 1896 و 1900، تطوّرت حصّة ألمانيا - في نفس الفترة - من 13 % إلى 17 % ، متجاوزة بذلك فرنسا التي تراجعت حصّتها من 10 % إلى 7 %، ومحتلة المرتبة العالمية الثالثة بعد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي مرّت نسبة مساهمتها في الانتاج الصناعي العالمي - في نفس الفترة السابقة الذكر - من 23 % إلى 30 %¹.

لقد كان الإقتصاد الألماني يشهد دفعا قويا في كلّ قطاعاته وهو ما جعل نسبة النمو الإقتصادي - من سنة 1873 حتى قبيل الحرب العالمية الأولى - أسرع مرتين في ألمانيا منها في فرنسا، الأمر الذي حثّم عليها البحث عن أسواق جديدة ؛

لقد تضاعفت الصادرات الألمانية أربع مرات بين 1875 و 1913 مقابل تضاعفها خمس مرات في الولايات المتحدة الأمريكية و 2.2 في بريطانيا و 1.8 فقط في فرنسا.

أمّا رؤوس الأموال الألمانية المستثمرة في الخارج فقد تضاعفت مرّة أولى بين 1883 و 1893 ، ومرّة ثانية بين 1893 و 1914 ممّا جعل ألمانيا تحتل من - حيث حجم رؤوس الأموال المستثمرة في الخارج - المرتبة العالمية الثالثة ب 13 % مقابل 43 % لبريطانيا و 20 % لفرنسا و 7 % فقط للولايات المتحدة الأمريكية²، فما هو مدى الحضور الإقتصادي لألمانيا في بلدان المغرب العربي ؟

1 - ميشال (ب) : "تاريخ الرأسمالية من سنة 1500 الى يومنا هذا" (بالفرنسية). باريس، منشورات سري، 1981.

Michel,B., *Histoire du capitalisme de 1500 à nos jours*, Paris, ed. du Seuil, 1981, p. 184.

2 - نفس المرجع، ص 204.

2 (الحضور الاقتصادي لألمانيا في بلدان المغرب العربي :

في الواقع فإنَّ المعطيات المتعلقة بذلك قليلة بالنسبة إلى البلاد التونسية، ومهمة بالنسبة إلى المغرب الأقصى في حين تنعدم بالنسبة إلى الجزائر:

فبالنسبة إلى المغرب الأقصى تميّزت وضعيته - في سبعينات القرن الماضي - بهيمنة كلٍّ من فرنسا وبريطانيا على حوالي 90 % من تجارتها البحرية³، مما جعل البلاد سوقا لشركات لندن وليفربول التي عمدت إلى ربط بلادها بالمغرب الأقصى بواسطة خطوط بحرية.

أما فيما يتعلق بالنفوذ الألماني في المغرب الأقصى فيمكن التمييز بين فترتين :

- أولى امتدت بين 1870 و 1885 كان فيها التواجد الألماني محدودا جداً إذ غاية ما كان هناك هو استقرار بعض التجار الألمان بالبلاد بين 1877 و 1881 ، في حين كانت المبادلات التجارية بين البلدين ضعيفة إذ لم تتجاوز حصة ألمانيا من واردات المغرب الأقصى 1.77 % مقابل 0.09 % من صادراته وذلك سنة 1884⁴، ومع ذلك أمكن لألمانيا - سنة 1873 - أن توجد لأول مرة ممثلاً لها بالمغرب الأقصى، وسنة 1878 أُستقبلت بعثة مغربية في برلين.

- ثانية إمتدت من 1885 إلى 1894 وتميّزت فيها ألمانيا بقطعها مع سياسة الاحتشام التي سلكها بزمبارك فجاء فرنسا بعد استيلائها على البلاد التونسية، فحرصت على تدعيم حضورها في أسواق المغرب الأقصى، فأمكن يوم 29 سبتمبر 1885 توقيع معاهدة بين البلدين، وسنة 1887 قرّر مولاي الحسن - سلطان المغرب- جلب مهندس معماري ألماني لبناء حصون كلٍّ من الرباط وصويرة وتزويدها ببطاريات ثقيلة مصنوعة من طرف مؤسسة كروب (Krupp) وهو ما جعل "المغرب الأقصى يصبح حريقاً لمصانع

3 - مياح (أ): "المغرب وأوروبا" (بالفرنسية)، باريس، نشرات الجامعة الفرنسية، 1961، 3 أجزاء.

Miege, L., *Le Maroc et l'Europe*, Paris, P.U.F., 3 vols. 1961 - 62, t.3, p-251

4- قبيلان (ب): "ألمانيا والسوق المغربية في نهاية القرن التاسع عشر، محاولات الشرب التجاري" (بالفرنسية)، هسبيرس -

تامودا، الجزء الرابع.

Guillen, P., "L'Allemagne et le marché marocain à la fin du XIX^e siècle, les efforts de pénétration commerciale", HESPERIS - TAMUDA, vol. IV, fascicule 3 (1963), pp. 373 - 413, p. 373

السلاح وحضائر الموانئ الألمانية⁵ . وفي شهر أكتوبر من سنة 1888 تم تعيين ممثلاً للمغرب الأقصى ببرلين، في حين عيّنت ألمانيا ططمباخ Tattembach ممثلاً لها في المغرب الذي وصله سنة 1890 . فأمكن له فتح البلاد في وجه الصناعات الألمانية حتى أنه أمكن -مثلاً- لمؤسستي هسنار (Haessner) ويوخيم زوهن Joachim Sohn إبرام صفقة بمبلغ خمسة ملايين لشراء المحرطوش⁶ هذا إلى جانب تدعيم المواصلات البحرية بين موانئ البلدين الأمر الذي حثم على بريطانيا وفرنسا التحرك لغلق المنافذ في وجه النفوذ الألماني خصوصاً بعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894 وخلافة ابنه -عبد العزيز- له رغم صغر سنه.

تجدر الإشارة إلى تدعيم المصالح الألمانية بالمغرب الأقصى منذ بداية القرن الحالي حيث أمكن لثلاثة شركات بحرية ألمانية - وهي فرمان لينيه Woermann Linie ، ألندبورغ بورتوفيزشه داميفشيفت واداري (O.P.D.R.) oldenburg-portugiesischeDampf-schiffs-Rheederei وزلومان لينيه Sloman Linie⁷ - تدعيم المبادلات التجارية بين البلدين : فلقد مثّلت مثلاً القطنيات والسكر والشاي - سنة 1904 - 22,3 % من صادرات ألمانيا نحو المغرب الأقصى (مقابل 73,5 % لبريطانيا و 60 % لفرنسا) ، حتى أن قبضة القطنيات الألمانية -مثلاً- الموجهة إلى المغرب بلغت سنة 1904 50 ألف مارك⁸ ، مع العلم وأن ألمانيا ظلت المزود الأساسي للمغرب من الأغذية بـ 66 % من حاجياته منها سنة 1904 .

إن ذلك الحضور الاقتصادي الألماني كان وراء التقارب الفرنسي - الأنفليزي الذي تجسّم في معاهدة

5 - جرمان (أ) : "الصداقة الألمانية - المغربية الأولى (1885-1894)" في "دراسات مغربية، أبحاث مهددة إلى شارل أنفري جوليان" (بالفرنسية). باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1964 .

Germain, A., "La lere unité Germano-marocaine (1885-1894)" *Etudes Maghrébines, Mélanges Charles André Julien*, Paris, P.U.F., 1964, pp. 57 - 75, p.63

6 - نفس المرجع، ص 56 .

7 - فيتان (ج) : "العلامات المغربية الألمانية والشؤون المغربية، من 1901 إلى 1911" بالفرنسية، الجزائر، 1978 .

Guénane, J., *Les relations franco - allemandes et les affaires marocaines de 1901 à 1911* SNED, Alger, 1978, p. 32-33

8 - نفس المرجع، ص 34 .

8 أفريل 1904⁹ التي أثارت إستياء ألمانيا. وكانت سببا في وصول غليوم الثاني إلى طنجة يوم 31 مارس 1905، وفرضه على كل الأطراف المهتمة بالمغرب الأقصى حضور مؤتمر الجزيرة الذي عدّ إنعقاد¹⁰ نجاحا للديبلوماسية الألمانية.

إن تمسك فرنسا بانفرادها بالمغرب دفعها إلى الإقدام على "توغلات محتشمة" متعللة في ذلك "باعتبارات أمنية" حتى كان احتلالها - سنة 1911 - لمدينة قاس الذي ردت عليه ألمانيا بارسال البارجة "بنتزر" إلى ميناء أغادير، لكن اتفاق 4 نوفمبر 1911 وجّه ألمانيا نحو حوض الكونغو، في حين لم تلبث فرنسا أن أعلنت إحتلالها للمغرب الأقصى يوم 30 مارس 1912 .

أمّا بالنسبة إلى البلاد التونسية فإن علاقاتها مع ألمانيا تعود إلى ما قبل الإحتلال الفرنسي لها¹¹ وقد توجت بيعث قنصلية عامّة لها بتونس بتاريخ 18 جانفي 1871 كان مقرّها بـ 12 نهج زرقون وعين شارل تولان Charles Tulin اتصالا بها¹².

لقد كانت البلاد التونسية وجهة العديد من الألمان من علماء، وطبيعيين وجغرافيين ومستشرقين وعلماء، عراقا ethnographes حتى أنّ 60 % -على حد قول السلطات الفرنسية - من السياح الذين يزورون الإيالة كانوا "جرمانيين"¹³.

ومن جهة أخرى، فإن قبضة المعاملات التجارية بين ألمانيا وتونس تضاعفت أربعة مرات في ظرف عشرة

9 - أنظر تفاصيلها في فينان. مرجع سابق. ص 69 .

10 - حول ظروف إنعقاد مؤتمر الجزيرة وأهم القرارات الصادرة عنه أنظر فينان. مرجع سابق. ص 189 - 155

11 - أنظر ذلك بالتفصيل في جهرينف (ج): "العلاقات بين تونس وألمانيا قبل الحماية" (بالفرنسية) في الكراسات التونسية، العدد 71 - 72 . الثلاثي الثالث والرابع 1970، ص.ص. 7 - 155 .

Gehring, G., " Les relations entre la Tunisie et l'Allemagne avant le protectorat", *Les Cahiers de Tunisie*, LXVIII, n° 71-72 (3e et 4e Trimestres 1970), pp. 7-155.

12 - نفس المرجع. 36 .

13 - أرنولت (أ): "التونسيون والحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)" (بالفرنسية) في مجلة المغرب الإسلامي والمتوسط، عدد 38 - 1984 . صص. 47 - 61 .

Arnoulot, F., "Les Tunisiens et la 1ère guerre mondiale (1914-1918)", *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée (R.O.M.M.)*, n°38 (1984), pp. 47-61, p.50

سنوات، حيث مرّت من 2.307.301 فرنك سنة 1903 إلى 10.416.244 فرنك سنة 1913¹⁴، حيث أمكن للعديد من الألمان الاستقرار في عدّة جهات من البلاد وبالخصوص بالعاصمة، وتعاطي مهن مختلفة، كما تمكّن العديد من الرأسماليين -بالخصوص من منطقة الرور (Ruhr)- من استثمار أموالهم في عدّة قطاعات، وهو حضور سنعرض إلى مختلف مظاهره لاحقاً.

يجب التذكير بأنّ التقارب العثماني-الألماني منذ أواخر القرن الماضي توجّع عند اندلاع الحرب العالمية الأولى بدخول تركيا فيها إلى جانب ألمانيا ودعوة مركز الخلافة الشعوب الإسلامية التي تحتلّها فرنسا وحلفائها إلى إعلان "الجهاد المقدّس"، الأمر الذي دفع فرنسا إلى إتخاذ عدّة إجراءات ضدّ الرعايا الألمان بشمال إفريقيا وضرب كلّ ميل من سكّانه تجاه ألمانيا :

ففي ماذا تمثّلت تلك الإجراءات؟

وماهي صورة ألمانيا في المخيال الشعبي لسكّان المنطقة؟

١١ مصير الرعايا الألمان وصورة ألمانيا في بلدان شمال إفريقيا

١ (مصير الرعايا الألمان :

بالنسبة إلى المغرب الأقصى، فإنّ الظهير الشريف - الصادر يوم 2 أوت 1914 - سحب أمر التقليد "L'exequatur" من قناصل ألمانيا في المنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى وألزمهم مغادرة البلاد¹⁵؛ ذلك أنّ الجنرال ليوطي Lyautey -باعتباره وزير خارجية سلطان المغرب- أصدر الظهير التالي: "...، نظراً لحالة الحرب بين فرنسا وألمانيا...، قرّرنا أن نسحب من كلّ القناصل الألمان المقيمين بطن وموانئ المنطقة الفرنسية "أوامر التقليد" التي منحتها لهم...، إنّ السلطات الممنوحة لهم قد وضع لها حدّ...، وأنّ اتفاقيات التسليم المبرمة بين الإمبراطورية الألمانية والمغرب وقع إلغاؤها...، وإنّ الرعايا

14 - نفس المرجع.

15 - برنارد (ف)؛ السياسة الإسلامية لألمانيا" (بالفرنسية)، باريس: مركز الدراسات للسياسات الخارجية، 1939.

Bernard, V., *La politique islamique de l'Allemagne*, Paris Centres d'études politiques étrangères, 1939, p.22

الألمان أصبحوا مجردين من كل حماية، وصاروا رعايا للسلطة الشريعية ...¹⁶، وبمقتضى ظهير 29 و 30 سبتمبر 1914 تم إجراء عقوبات على أملاك الألمان المنقولة وغير المنقولة خصوصا منها المناجم والمقاطع، كما أن أولار M.M. de Saint-Aulaire - ممثل الإقامة العامة- وفدور بن فبريط -مدير الترجمة - توجهها باسم المقيم العام ليوطي إلى طنجة أين سلما للقناصل الألمان والنمساويين- المجريين جوازات سفرهم¹⁷، في حين صدر يوم 10 نوفمبر 1914 ظهير بمنع التجارة مع الألمان والنمساويين- المجريين¹⁸.

إن حالة الحرب، والغاء القوانين والمعاهدات الخاصة للرعايا الألمان سمحت للسلطات الفرنسية بالمغرب الأقصى القيام بإجراءات قمعية تجاههم بدعوى "الخيانة وتعاطبهم لأعمال الجوسسة بالتنسيق مع سفير ألمانيا في مدريد، قيادت إلى إيقافات عديدة في صفوف الرعايا الألمان والنمسا المجر، وبتهمة "التآمر والخيانة العظمى" مثل العديد منهم أمام محكمة عسكرية عليا وتم إعدامهم رميا بالرصاص¹⁹، ذلك "أن الجنرال ليوطي لم يتردد- منذ الأيام الأولى لاندلاع الحرب- في الاقدام على إعدامات مدونة كتلك التي استهدفت كارل فيكه Karl Ficke وفرونذر Gründler"²⁰.

أما بالنسبة إلى البلاد التونسية فإن ما توفر لدينا من معطيات مكنتنا من الوقوف على المسألة بأكثر وضوح ودقة، حيث استهدفت الإجراءات الانتقامية الرعايا الألمان المقيمين بالبلاد كأشخاص، كما استهدفت مصالح الشركات والمؤسسات والأطراف المالية المعقلة بها، وقبل التطرق إلى تفاصيل كل ذلك حاولنا - انطلاقا من الوثائق التي أمكننا الوقوف عليها- إحصاء عدد الرعايا الألمان ومعرفة مناطق استقرار البعض

16 - "الألمان في المغرب" في إفريقيا الفرنسية". العدد 3 - مارس 1915.

"Les Allemands au Maroc", *l'Afrique Française*, n°3 (Mars 1915), pp. 72-74, p. 72

17 - نفس المرجع..

18 - نفس المرجع..

19 - برنارد (أ) : "معهد إفريقيا الشمالية" (بالفرنسية) باريس 1916.

Bernard. A., *L'effort de l'Afrique du Nord*, Paris, 1916, p.12

20 - برنارد، السياسة الإسلامية ... مرجع سابق، ص 23

منهم ببلادنا والمدن الألمانية التي جاؤوا منها، وأهم المهن التي كانوا يتعاطونها في البلاد التونسية، كل ذلك انطلاقاً من الأوامر التي صدرت ضدّهم بالركّاد الرّسمي القوّسي والقاضية بإجراء عقوبات على متلكاتهم بالبلاد.

فمن حيث عدد أولئك الرّعايا أمكننا إحصاءهم على النحو التالي :

تاريخ نشر قرار إلهجيز بالركّاد الرّسمي التونسي	عدد الاشخاص الالمان المحجوزة املاكهم
1914/11/25 عدد 106 ص 1002	28
1914/12/2 عدد 108 ، ص 1010	14
1914/12/9 عدد 110 ، ص 1017	09
1914 / 12/12 عدد 111 ، ص 1021	02
1914/12/26 عدد 115 ، ص 1042	16
1915/2/6 عدد 11 ، ص 59	16
1915/3/ 20 عدد 23 ، ص 128	114
1915/4/21 عدد 32 ، ص 172	109
2 و 1915 / 8/5	78
1915/9/ 8 عدد 72 ، ص 369 370	101
1915/11/3 عدد 88 ، ص 431 432	26
1915/12/29 عدد 104 ، ص 529	34
المجموع العام	547

تجدر الإشارة إلى أن عملية الإحصاء هذه قامت على أساس الأشخاص والأفراد الذين ذكرت أسماءهم ضمن المحجوزة أعلامهم في البلاد، مما يعني أن العدد الجملي المذكور في الجدول أعلاه لا يشمل الرعايا الألمان الذين ليست لهم أعلام. كما أن الأسماء المذكورة ترد أحيانا في صيغة الجمع كالأخوة انجلز²¹ Engels frères والأخوة روزنار²² Rosner-frères، وهو ما يحملنا على القول بأن العدد الحقيقي للرعايا الألمان بالبلاد التونسية أثناء الحرب العالمية الأولى يفوق بكثير الـ 547، خصوصا إذا علمنا أنه أمكننا إلى جانب العدد المذكور إحصاء 138 مؤسسة وشركة ألمانية ممثلة في البلاد، وهو ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن العدد الجملي للرعايا الألمان يفوق بكثير خمسمائة شخص²³ في الفترة المذكورة²⁴.

هذا فيما يتعلق بعدد أولئك الرعايا الألمان، فماذا عن المدن الألمانية التي قدموا منها إلى البلاد التونسية، وماهي بالخصوص المهن التي كانوا يتعاطونها بالبلاد، وماهي الجهات والمناطق التي كانوا مستقرين بها في الإيالة؟

وجبت الإشارة إلى أن أسماء أولئك الرعايا كثيرا ما تكون غير متبوعة بذكر المدن الألمانية التي جاؤوا منها، ولا بتحديد الأماكن التي استقروا بها في البلاد التونسية ولا حتى بتحديد المهن التي كانوا يتعاطونها، ومع ذلك فإنه انطلاقا من المعطيات التي ذكرت بالنسبة إلى البعض من أولئك الرعايا يمكن القول بأن أغلبهم من برلين، تليها هامبورغ ثم فرانكفورت فنورمبرغ وغيرها من المدن الألمانية الأخرى ك: ليبزيغ ^{Leipzig}، مونيخ ^{Munich}، كولونيا، شتوتغرت، دراسدن ^{Dresde} وغيرها.

21 - الرائد الرئس التونسي عدد 110، ليوم 1914/12/9، ص 1017.

22 - نفى المصدر، ليوم 2 و 1915/0/5.

23 - سنة 1912 تم إحصاء حوالي 46 ألف فرنسي و 88.089 إيطالي و 11.300 مالطي و 3.50 أرومي من جنسيات مختلفة، أنظر: دي لاتسان (ج-د)، "فرنس" (بالفرنسية)، باريس 1917، ص 8.

De Lanessan, E.L.: *La Tunisie*. Paris, 1917, p.8

24 - سنة 1874 نشر الفصل الألماني Turin الجالية الألمانية بتونس بحوالي 12 عائلة (حوالي 50 فردا)، وهو عدد ضئيل جدا بالمقارنة مع 7000 إيطالي ومثلهم من الماطيين و 300 يوناني و 819 فرنسي، أنظر، ل. ثانياج (ج): السكان الأوروبيون بتونس في منتصف القرن التاسع عشر. دراسة وبيغرافية" (بالفرنسية) باريس. 1960.

Ganiage (J.) *La population européenne de Tunis au milieu du XIXe Siècle. étude démographique*, Paris, 1960, p. 19

كما أنّه انطلاقاً من الاشارات القليلة يمكن القول بأن أغلب أولئك الرعايا كانوا مستقرين أساساً في العاصمة تونس مع قلة منتشرة في أماكن ومدن أخرى كالكريب، نابل، ماطر، الكاف. أما عن الأنشطة التي تعاطاها أفراد تلك الجالية فإنّه بالرغم من أن قرارات الحجز نادراً ما تشير إلى ذلك يمكن الإشارة إلى ذوي الوظائف التجارية كـ :

- تراخ هرمان كورت Terrach Herman Kurt المستخدم في التجارة لدى زيارت Siebert بـ 9 نهج لوزان بتونس²⁵

- دوهنر Doehter Doehner التاجر بـ شيمتس Chemnitz في منطقة الساكس (Saxe)

- فيريدريهيدر Gebr Heyder التاجر بـ دورن Duren

- فيليب وشركائه التجار بهمبورغ²⁶

كما نجد منهم "ملاك بتونس"²⁷ و "بائع حلي بتونس" ومصوّر بالعاصمة²⁸ وصاحب مطحنة بأبه قصور بالكاف²⁹، ومزارع بالكريب³⁰ وصاحب مخبزة كـ "فنجر Wanger صاحب أكبر مخبزة بمدينة تونس والذي كانت له فروع لها داخل البلاد"³¹.

كما نجد من ضمن أولئك الرعايا الألمان ذوي المناصب السياسية والديبلوماسية كـ بلهورن أوسكار Belhorn Oscar المستشار السابق لـقنصلية ألمانيا بتونس³².

25- الرائد الرسمي التونسي، عدد 108 ليوم 1914/12/2، ص 1010.

26- نفس المصدر، عدد 106 ليوم 1914/11/25، ص 1002.

27- نفس المصدر.

28- نفس المصدر.

29- نفس المصدر، عدد 108 ليوم 1914/12/2، ص 1010.

30- نفس المصدر، عدد 106 ليوم 1914/11/25، ص 1002.

31- الفندري (م) : "المواطنون الألمان بخونس إبان اندلاع الحرب العالمية الأولى. شهادة من الكاتب ليون فوخت فانغر" بالفرنسية، في

المجلة التاريخية المغربية، العدد 7، ماي 1994، ص 47-51.

Fendri, M., "Les ressortissants allemands à Tunis au déclenchement de la 1ere Guerre mondiale : un témoignage de l'écrivain Lion Feucht Wanger" *Revue d'Histoire Maghrébine*, n°74 (Mai 1994): pp. 47-51, p. 49.

32- الرائد الرسمي التونسي، عدد 108 ليوم 1914/12/2، ص 1010.

ماذا كان مصير أولئك الرعايا الألمان بالبلاد التونسية عند اندلاع الحرب العالمية الأولى؟ تشير المصادر الفرنسية نفسها إلى إيقاف بعض الأفراد (ستة) منهم بمدينة تونس من بينهم مصورين مستقرين منذ مدة بالمدينة المذكورة، وكالعادة وبتهمة التجسس لصالح هيئة الأركان ببرلين تم اعتقالهم، في حين دعيّت عائلتهم إلى مغادرة البلاد التونسية³³.

لئن لم نتمكن - في حدود ما أطلعنا عليه من وثائق - من الوقوف على تفاصيل معاملات السلطات الفرنسية بالبلاد التونسية للرعايا الألمان بها فإن شهادة الكاتب لبون فرشت فنجير Lion Feuchtinger (1884-1958) - الذي كان عند اندلاع الحرب في زيارة إلى البلاد التونسية - قد أتت على بعض ذلك من خلال ما نشره - بعد عودته إلى ألمانيا - في المجلة الثقافية دي شاربونه Die schaubühne ليوم 1 أكتوبر 1914 تحت عنوان "هروب من تونس"³⁴ :

فلقد ذكر أنهم جرّوا من كلّ ما يحملونه، حيث فتشوا بدقة لا فرق بين السباح ورجال الأعمال والأطباء، فتمّ إيداع الجميع السّجن، ويوم 4 أوت صدرت لهم الأوامر بمغادرة البلاد بأقصى سرعة، مشيراً إلى أنّ السلطات الفرنسية عمدت - بعد قبلة الطرّادتين الألمانيّتين فوين Goeben وبرزلاو Breslau لمينائي عنابة وفيليبفيل philippeville يوم 4 أوت 1914³⁵ - إلى مزيد من الاعتقالات في صفوف الرّعايا الألمان، مقدّراً عدد الذين أوقفوا بالسّجن بحوالي مائة وعشرين شخصاً³⁶.

33 - دودي (I) : "الحرب والحرب" (بالفرنسية). باريس 1915.

Daudet, E., *Les arabes et la guerre* Paris, 1915, p. 14

34 - القندري - مرجع سابق ص 47.

35 - "مستعمراتنا الإفريقية أثناء الحرب". في إفريقيا الفرنسية العدد 1 و 2، جانفي - فيفري 1915.

"Nos colonies d'Afrique pendant la guerre", *L'Afrique française*, n° 1 et 2 (Janvier - Février 1915, p.p. 19-27).

36 - القندري، ص 94.

إن آخر ما نود الإشارة إليه فيما يتعلق بالرعايا هو مبادرة السُلطات الإستعمارية بالبلاد التونسية إلى إصدار قرار 3 أوت 1914 القاضي بمنع التبادل للظروف البريدية بين البلاد التونسية وألمانيا والنمسا- المجر³⁷، وتطبيقا لذلك صدرت الأوامر إلى قباض الجمارك في كل من تونس وسوسة وصفاقس وجربة بعقل البضائع والظروف الألمانية والتساوية - المجرية المحجوزة في مكاتب جمارك المدن المذكورة³⁸.

هذا فسيما يتعلق بالأشخاص والأفراد، فماذا عن مصير المصالح الإقتصادية لألمانية بالبلاد التونسية ؟

لقد تعددت الأوامر الرسمية المتعلقة "بإجراء عقلات على أملاك رعايا ألمانيا بالمملكة التونسية"، وقد أمكننا - انطلاقا من الأوامر المذكورة والتي نشرت في عدة أعداد من الرائد الرسمي التونسي - إحصاء المؤسسات والشركات التي كان لها تمثيل بالبلاد التونسية، ومحاولين الإلمام بطبيعة نشاط البعض منها بالبلاد:

من حيث عددها، فقد أمكننا ضبط قائمة³⁹ ضمت إسم 138 شركة ومؤسسة إقتصادية من جهات ألمانية مختلفة أهمها برلين، نورمبرغ، ليبزيتش، هامبورغ، كولونيا وغيرها، وقد شمل نشاطها مجالات إقتصادية متنوعة منها :

- تجارة الخشب كمؤسسة كملسباخ بفرايبورغ⁴⁰ La maison Kimmeelsbach à Fribourg
- تجارة الجلد والجلود كمؤسسة كورنيلس هايل بـ فورمس على نهر الراين La maison Cornelius
- 41Heyl à Worms-Sur- Rhin
- شركات في قطاع الفلاحة والقطنيات كـ الشركة الفلاحية والقطنية لتونس La Société
- 42agricole et Cotonnière de Tunisie

37 - الرائد الرسمي التونسي ليوم 1914 / 8 / 5

38 - نفس المصدر، عدد 115 ليوم 1914 / 12 / 26، ص 1042 .

39 - أنظر الملحق عدد 1، ص .

40 - الرائد الرسمي التونسي، عدد 108 ليوم 1914 / 12 / 2، ص 1010، أنظر الملحق عدد 1، ص .

41 - نفس المصدر، أنظر الملحق عدد 1، ص .

42 - نفس المصدر، عدد 115، ليوم 1914 / 12 / 26، ص 1042، أنظر الملحق عدد 1، ص .

- شركات التأمين على الحياة ك شركة "تكتوريا بيرلين" "La Victoria de Berlin"⁴³.

كما شمل نشاط تلك الشركات مجالات استهلاكية وغذائية كشركة تصدير العطورات بكونل ايرن فالد La Société export parfumerie fabrik de coln Echrenfeld⁴⁴ والشركة العالمية لصناعة آلات التبغ بدرسدن L'Universelle Cigaretten machine indutstrie de Dresde⁴⁵، والشركة الألزاسية للتغذية بسترزابورغ La Société⁴⁶ Alsacienne d'alimentation de strasbourg. كما أن القطاع المنجمي والمتعلق باستخراج الثروات الباطنية كان في نظرنا - مع إقرارنا بأن أغلب الشركات الواردة أسماؤها في الملحق رقم 1 ليست مثبوعة بتحديد نوع نشاطها - من القطاعات التي جلبت اهتمام الأطراف الألمانية :

ذلك أن الإستثمارات الفرنسية في البلاد التونسية توجّهت في العشرين سنة الأولى لاحتلال البلاد بالأساس إلى القطاع الفلاحي، فتعددت التشريعات المهيّلة لاستيلاء المعرّين الفرنسيين على مساحات شاسعة خاصّة من أراضي العروش وأراضي الأحياس العامة والخاصّة بمقتضى قانون التسجيل العقاري الصّادر يوم 1 جويلية 1885 والقوانين المتّصلة له.

ورغم إكتشاف العديد من المناجم منذ السّنوات الأولى لاحتلال فرنسا للبلاد التّونسيّة - كالحديد منذ سنة 1881 والفسفاط منذ سنة 1885 - فإنّ تلك الثّروات - رغم أهميّة مدخّراتها وسهولة استخراجها - لم تلق الاهتمام اللازم من قبل الأوساط الرأسمالية الأوروبيّة إلّا في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي، فكان تأسيس شركة فسفاط صفافس قفصة سنة 1897، ولم تلبث أن تعددت الشركات المتخصّصة في الصّناعات الإستخراجيّة.

43- نفس المصدر، عدد 11، ليوم 2 / 6 / 1915، ص 59، انظر الملحق عدد 1، ص .

44 - نفس المصدر، عدد 32 ليوم 21 / 4 / 1915، ص 172، انظر الملحق عدد 1، ص .

45- نفس المصدر، عدد 104 ليوم 29 / 12 / 1915، ص 529، انظر الملحق عدد 1، ص .

46- نفس المصدر، انظر الملحق عدد 1، ص .

إنّ ما يهمّنا في موضوع بحثنا هو تعدّد الشركات الألمانية التي اهتمّت باستخراج بعض الثروات الباطنية التونسية وبالمخصوص منها الرّزك والرّصاص. فلقد كانت هناك مساهمات مالية ألمانية في عدّة شركات استخراجية كالشركة المنجمية لفجّ الهدوم⁴⁷ La Société minière de Fedj-el-Adoum⁴⁸ والشركة المنجمية لجبل الحلوّ⁴⁹ La Société minière du Djebel -el-Hallouf⁵⁰ وشركة مناجم بزينّة⁵¹ La Société des mines de Bazina⁵² وشرك مناجم جبل طويلة⁵³ Société des mines du Djebel-Touil⁵⁴ وهي شركات فيها رؤوس أموال ألمانية ومختصة في استخراج الرّزك والرّصاص الذي يحوّل في مسابك مفرّين⁵⁵ La Société des fonderies de Mégrine⁵⁶ التي كانت لألمانيا - كذلك - حصّة مالية فيها أمرت السّلط الفرنسية بحجزها. كما نجد لشركات ألمانية حصص ومصالح في شركات منجمية أخرى عاملة في تونس كشركة مناجم لياج⁵⁷ La Société des minerais de Liege⁵⁸ ، وفي شركات مختصة في التّقيب عن البترول

47- منجم يقع جنوب غرب تهرسك وجنوب شرق صفاقس الإريثراء.

48- الرّكند الرسمي التّونسي، عدد 11 ليوم 6 / 2 / 1915، ص 59، أنظر الملحق عدد 1، ص .

49- منجم يقع غرب باجة وشمال شرق فرنانة

50 - الرّكند الرسمي التّونسي، عدد 11 ليوم 6 / 2 / 1915، ص 59، أنظر الملحق عدد 1، ص .

51- تقع بزينّة غرب ماطر جنوب وادي جومين.

52- الرّكند الرسمي التّونسي، عدد 11 ليوم 6 / 2 / 1915، ص 59، أنظر الملحق عدد 1، ص .

53- منجم يقع جنوب طرّة غرب حقّوز وشمال غرب حاجب العيون من ولاية القيروان .

54- الرّكند الرسمي التّونسي، عدد 11 ليوم 6 / 2 / 1915، ص 59، أنظر الملحق عدد 1، ص .

55- تأسّست سنة 1909 لصهر المعادن التي كانت تصدّر خاماً، فكانت بذلك المصنع الوحيد من نوعه في شمال إفريقيا قادر على صهر 30 ألف طن من الرّصاص سنوياً، توقّف تماماً عن العمل في آخر جويلية 1914 بعد تجميد كلّ أعوانه الفتيّين، لكنّه عاد إلى الإنتاج من جديد بداية من ماي 1915، مع العلم وأنّ هذا المصنع يشغل معدّل 230 عامل 80 % منهم من الأمازيغ، أنظر : برطون (أ) : "الصناعة المنجمية بتونس" (بالفرنسية)، تونس الإدارة العامة للمناجم.

L. Berthion, L'industrie minière en Tunisie, Tunis. Direction générale des mines p.247.

56 - الرّكند الرسمي التّونسي، عدد 115 ليوم 26 / 12 / 1914، ص 1042، أنظر الملحق عدد 1، ص .

57- نفس المصدر، أنظر نفس الملحق ص .

كالشركة التونسية للبترول⁵⁸ La Société Tunisienne des Pétroles، كما كانت هناك مؤسسات ألمانية متخصصة في استغلال بعض المقاطع كمؤسسة ديكروفر Dickeroffe التي لها حضائر في كل من جلمة، سبيطلة، القصرين، تلايت، ماجل بالعباس، المزونة، المكتاسي، عين زنوش، السند وفقصة⁵⁹.

تجدر الإشارة إلى أن سلطات الاحتلال الفرنسي بادرت إلى إجراء عقوبات على أملاك الأشخاص والأطراف المالية التي لها حقوق في الشركات والمؤسسات المذكورة، داعية كل الدائنين والمؤقتين على الودائع ومالكي الحيازات والمستندات، أو الذين بحوزتهم مبالغ لغائدة الأطراف المذكورة للاتصال بالمكلفين بإجراء العقوبات على الأملاك المذكورة وتسليمهم ما بحوزتهم لتبرئة ذمتهم، هذا وقد بادرت السلطات الفرنسية إلى تنظيم مزادات علنية لبيع بضائع ألمانية محجوزة :

من ذلك مثلاً الإعلان عن بيع بالمزاد العلني قرّر ليوم الخميس 14 سبتمبر 1916 على الساعة التاسعة صباحاً بنهج لمورسيار Rue Lamorcière بصفافس لإثنين وعشرين إطاراً مطاطياً تابعة للمؤسسة الألمانية "كونتيننتال" La maison allemande "Continental" الكائن مقرها الاجتماعي بباريس بشارع ملكوف Avenue Malakoff عدد 146 ، وقد حدّد السعر الاقتتاعي بألفي فرنك⁶⁰ تلك هي - في حدود إطلاعنا - أهم الإجراءات التي لحقت الرعايا الألمان ومصالح الشركات والمؤسسات الألمانية بالبلاط التونسية من قبل السلطات الاستعمارية بها، فإذا كان ذلك هو المصير الرسمي للأطراف المذكورة فماذا كانت أهم ملامح صورة ألمانيا على المستوى الشعبي؟

2 (صورة ألمانيا في المخيال الشعبي لسكان بلدان شمال إفريقيا:

لا بدّ - منذ البداية - من التأكيد على أن ألمانيا استفادت من عدّة عوامل كان لها تأثير كبير في الصورة الحسنة التي كانت لها لدى المسلمين عامّة وسكان بلدان المغرب العربي خاصّة، وأهمّ تلك العوامل - على الإطلاق - أنها كانت تعتبر القوة الأروبية الوحيدة التي لم تستعمر جزءاً من الإمبراطورية

58- نفس المصدر، عدد 11 ليوم 6 / 2 / 1915، ص 59، أنظر الملحق عدد 1، ص .

59- نفس المصدر، عدد 111 ليوم 12 / 12 / 1914، ص 1021، أنظر الملحق عدد 1، ص .

60- نفس المصدر، عدد 68 ليوم 26 / 8 / 1916، ص 342.

العثمانية والوحيدة التي ليست لها أطماع ترابية في تركيا⁶¹.

كما أن ألمانيا إستفادت من العلاقات الودية التي كانت لها مع الدولة العثمانية في وقت تكالبت فيه القوى الأوروبية على قطع أوصال "الرجل المريض" وتقاسم أجزائه أساسا بين بريطانيا وفرنسا، في وقت سعت فيه الدولتان المذكورتان- خصوصا بعد سنة 1904 - إلى إقصاء ألمانيا وعزلها، فعوكت على "سياستها الإسلامية" بالاقتراب من القسطنطينية⁶².

يمكن القول بأن التقارب العثماني - الألماني - الذي كان له صدى مهماً لدى المسلمين - بدأ بعد زيارة الامبراطور غليوم الثاني وزوجته سنة 1898 للقسطنطينية وسوريا وبالأخص فلسطين أين زارا - في القدس - قبر صلاح الدين الأيوبي حيث أعلن الامبراطور عن "أخوته وحمايته للثلاثانة مليون مسلم المجليين للخليفة، واستعداده لتخليص الاسلام من مضطهديه ..."⁶³!

لقد راجت قولة الامبراطور الألماني تلك بين المسلمين حتى اعتقد البعض أنه اعتنق الإسلام، فلفظ "بالحاج غليوم"⁶⁴!

لقد سمح ذلك التقارب التركي - الألماني لألمانيا بالحصول على مشاريع داخل الإمبراطورية أهنيا مشروع سكّة حديد استنبول - بغداد التي فتحت في وجه ألمانيا الخليج الفارسي وبالتالي الطريق إلى الهند⁶⁵، كل ذلك في وقت تركّزت فيه السياسة العثمانية في مواجهة القوى الاستعمارية على الدعاية "للجامعة الإسلامية" التي نشط - في اطارها - العديد من مسلمي البلدان المستعمرة من عرب وأتراك وإيرانيين وهنود وغبرهم من الذين نشطوا أثناء الحرب الأولى انطلاقا من التراب الألماني كعبد العزيز

61 - برنارد (أ) : ألمانيا والإسلام (بالفرنسية) في إفريقيا الفرنسية العدد 1 و 2 (جانفي - فيفري 1915)

Bernard, A., "l'Allemagne et l'Islam", L'Afrique française n° 1 et 2 (Janvier-février), p. 17-18,

62 - أرنولي، مرجع سابق، ص 49.

63 - برنارد : ألمانيا والإسلام... مرجع سابق، ص 18.

64 - أجرون (ش-ر) : الجزائر بين المسلمين وفرنسا (1871 - 1919) * باريس 1968 المنشورات الجامعية الفرنسية.

Ageron, Ch.R., Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), Paris, P.U.F., 2 t., 1968, p.

1174

65 - أرنولي، مرجع سابق ص- 49.

جاويش وصالح الشريف ومحمد وعلي باش جانب وإسماعيل الصنّاحي والحضر حسين من تونس، ومحمد العتايبي من المغرب الأقصى ومحمد مزبان التلمساني، محمد الشّيبّي التّونسي، محمد بيراز الجزائري وحمدان بن علي الجزائري من الجزائر⁶⁶.

إنّ تلك الصّورة الحسنة والتميّزة التي كانت لسكان المغرب العربي عن ألمانيا تجد مبرراتها في مساندتها للسّلطان العثماني "حامي حمى المسلمين" في ظروف تمّ فيها استعمار جلّ البلدان الإسلامية وشرعت بعض القوى الأوروبية في استعمار البقيّة المتبقية كطرابلس الغرب سنة 1911 والمغرب الأقصى سنة 1912، الأمر الذي ولد لدى المسلمين شعورا يتأمر القوى الإستعمارية على العالم الإسلامي، في وقت كانوا فيه عاجزين عن الوقوف بندية في وجه التحدّيات التي استهدفتهم.

إنّ حاجتهم الماسّة والأكيدة إلى نصير جعلهم يرون في ألمانيا - "الخالية من السّوابق" المخلص الوحيد لهم من نير مضطهديهم خصوصا بعد التصريحات العلنية لامبراطورها، وبعد القوّة العسكرية التي أصبحت عليها⁶⁷.

إنّ اقترابها من السّلطان العثماني جعل لها في نظر المسلمين مساهمة جوهرية ليس فقط في دعم إشعاع أمير المؤمنين، وإنّما كذلك في المحافظة على الإسلام، حتّى عدّها بعض المسلمين "مكلّفة من قبل الله بمقاتلة أعداء الإسلام..."⁶⁸، مع العلم وأنّ الصّورة ساهمت في ترسيخها وتدعيمها بين أفراد الرأى

66- انظر ذلك بتوسّع في مقال حمّادي السّاعلي "نشاط الوطنيين التّونسيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى" المجلة التّاريخية المغربية، عدد 33 / 34 (أجوان 1984) ص 182 - 192.

67- منذ سنة 1912 - 1913 بدأت ألمانيا في زيادة التسلّح، فبعد الزّيادة بـ 50 ألف رجل يفتتحى القانون الخامس لسنة 1911، و بـ 150 ألف أمكن تحقيقها منذ 1 أكتوبر 1912، أصبح العدد الاضافي للمجنّدين - منذ خريف 1913 - 100,000، في حين مرّت المصاريف من مليار إلى ملياري ونصف، انظر : يادويار (م) : " غلبوم الثاني وزمنه " (بالفرنسية). باريس منشورات القرن، 1934.

68- Me. Barrière, *Guillaume II et son temps*, Paris, Editions du Siècle, 1934, p. 192.

68 - ماينبي (ج) : "الجزائر المكتشفة، حرب 1914-1918 والرّبع الأوّل من القرن العشرين"، (بالفرنسية)، جيناب، مكتبة دروز، 1981.

Meynier, G., *L'Algérie révélée, la guerre de 1914 - 1918 et le premier quart du XIX siècle*, Geneve, Librairie Droz, 1981, p.512.

العام الإسلامي بعض الصحف الصادرة في ألمانيا⁶⁹ وتركيا، فلا غرابة - نيعا لكل ذلك - مثلا أن يؤدي تدعيم الهيمنة الفرنسية على المغرب الأقصى إلى استياء أهاليه واعتبارهم لغليوم الثاني - عند وصوله إلى طنجة سنة 1905 - أم لهم الوحيد في تخليصهم من تلك الهيمنة.

في الواقع فإن الصورة الحسنة لسكان بلدان المغرب العربي عن ألمانيا توضحت ملامحها منذ بداية القرن الحالي وتدهمت بشكل أكثر وضوح أثناء الحرب العالمية الأولى :

من ذلك أن الإشارات الأولى والمتعلقة بصورة ألمانيا في الرأي العام الشعبي المغربي تعود في حدود إطلاعنا إلى سنة 1906 وبالتحديد بعد انعقاد مؤتمر الجزيرة بالمغرب الأقصى، وهي صورة تتبين أهم ملامحها من خلال ما كتبه أحد الجزائريين بتاريخ 23 نوفمبر 1906، فعمّا كتبه قوله⁷⁰ :

"إعلم إن الله تبارك وتعالى رزق الإسلام بسيد لا يتبع فرض ولا سنن، وهو نعمة لأبناء جنسه ... وهو فارس شجاع همام، فلو نظرت إلى حقيقة أمره مع المسلمين لقلت لا شك أنه من أهل الكرام الذين تركوا الأوثان والصليبان واتبعوا مائزل على سيد الأنام ... ، فيسبب محبته للإسلام رزقه الله المحبة والقبول، وجميع أهل أوروبا تخافه خصوصا إذا كان اتفاقه مع أمير إسطنبول ... وهو سلطان الألمانين ... ، فأرجو من المولى تبارك وتعالى أن يهذه بالنصر المبين ... ، ولا يخفى عليكم سفره لبلاد الشرق (يقصد القسطنطينية وسوريا وفلسطين سنة 1898) والغرب (يقصد نزوله بطنجة سنة 1905) ... ،

69 - عملت وزارة الخارجية الألمانية - قسم الشؤون الشرقية - على إصدار عدة نشرات تذكر منها :

- مجلة "الجهاد" ظهرت لأول مرة في برلين في مارس 1915 . وكانت تصدر بلغات شرقية مختلفة منها العربية وزعت على الأسرى المسلمين لدى ألمانيا.

- مجلة "الشرق الجديد" التي كانت ترصد التطورات في آسيا وشمال إفريقيا

- "مجلة العالم الإسلامي" التي صدرت باللغة العربية في استنبول يوم 5 / 6 / 1916 في حين ظهر العدد الأول منها في برلين باللغة الألمانية يوم 19 / 11 / 1916 ، أنظر ورنيراند "الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، الأبحاث (الجزائر)، عدد 52 (ديسمبر 1977)، ص 47-63، ص 56، 57، 60 .

70 - ديسبارمي (ج) : "بعض أصداء الدعاية الألمانية في مدينة الجزائر" بالفرنسية. في نشرية الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وإفريقيا الشمالية" الجزء 19، 1915

Desparmet, J., "Quelques échos de la propagande allemande à Alger", *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord*, t. XIX (1915), pp. 46-73, p. 72-73

انظر الملحق عدد 2.

فامتألت قلوب المسلمين بذلك فرحاً وسروراً، وتيقنوا بأنّ نجح الإسلام لا زال طالعا ... ، واشتهر خير هاته الزّورة في جميع الأقطار والبلدان ... ، لا سيّما حين خطب خطبته ... ، فمن كلامه وتعظيمه للإسلام ترحّزت قلوب المنافقين والأوهام ... ، والذي أشهره في خطبته اعلّموا أخوانكم المسلمين الثلاثمائة مليون ... ، أنّي محبّهم وصديقهم ونصيحهم وقاهر أعدائهم ... ، ولا زال يظهر محبّته للإسلام مثل محبّة الوالد للمولود ... ، ولما سمع بالدولة الفرانسوية والأنتليزية أرادوا أن يفتحوا الغرب ذهب إلي طنجة وراكبا أستول (كذا) وخطب لهم خطبة وجلت منها القلوب وتفرّغت عيون المحبّين إلى الله ... ، وردّ الله كيد الأعداء، في نحرهم، هذا ما فعل سلطان الألمان لنا من الإحسان الجميل ... ، فأرجوا من المولى تبارك وتعالى أن ينظر إلينا وإليه بعين الرّضا والصّراب، ولا يغيّر محبّته لنا بجاء الرسل والأنبياء والأقطاب

إنّ فرط تقدير عامّة المسلمين لاقتراب إمبراطور ألمانيا من الخلافة العثمانية وصل ببعضهم إلى إضفاء "شرعية إسلامية" عليه كان لها صداها في الأساطير الشعبيّة التي ذهب بعضها ليس فقط إلى اعتباره "الابن الشرعي للسلطان عبد الحميد الثّاني أرسله ليشرّي في البلاط الألماني ... !!!" ⁷¹ وإنّما وصل الأمر ببعض تلك الأساطير إلى حدّ تخصيصه - دون سائر حكّام أوروبا - بمبولاته نحو الإسلام واستعداداه لاعتناقه منذ بعثة الرّسول صلى الله عليه وسلّم :

ذلك أنّه - على حدّ قول بعض تلك الأساطير - منذ بعثه للرّسول، ومنذ أنّ أوحى إليه الله بغزو أراضي المشركين "كتب إلى كلّ أمة رسالة بدعوها فيها إلى الدّخول في الإسلام أو دفع الجزية ... ، فعمدت كلّ الحكومات التي وجّهت إليها تلك الرّسائل إلى تمزيقها باستنسا، إمبراطور ألمانيا ... ، لكن صوت الرّسول حال دون اعتناقه للإسلام ... ، وأنّ تلك الرّسالة مازالت محفوظة إلى يومنا هذا في خزينة الإمبراطور، في قارورة من زجاج، وكلّ سنة يخرجها سلطان الألمان، ويعدّ على شرفها ولبسة يجمع أئناها خاصّته وأقربائه ويقول لهم : إنّ الإسلام هو الدّين الحقّ "..... ، إنّ اعتناق الألمان للإسلام أمر حتمي ... ، فالبعض يقول أنّهم سيّعتقونه عند اقتراب السّاعة، والبعض يقول أنّ ذلك سيّتمّ عند بعث "صاحب

71 - قول شتاين : محرّره أمّ إلخان : على الطرق استقامة للتاريخ الفرنسي 1914 - 1922 . * (بالفرنسية) الدار الفرنسيّة

للنشر، 1978.

Goldstein, D., *Libération ou annexion : Aux chemins croisés de l'histoire Tunisienne* 1914-1922.

Tunis, M.T.E., 1978, p. 138.

الوقت"، لكن الله وحده هو العالم بأسراره وأوامره⁷².

هذا فيما يتعلق بصورة ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى، أما أثناءها فإن المعطيات المتعلقة بذلك عديدة، وتجمع كلها على تعدّد مظاهر ولا، سگان المغرب العربي لتركيا وحلبتها ألمانيا تلميحاً، وفي أغلب الأحيان تصريحاً وبشكل علني اعترفت السلطات الفرنسية نفسها به وعجزت على طمسه.^{*} لقد تجلّى ذلك الولاء في عدّة مظاهر نذكر منها :

* تعليق رسوم قيصر ألمانيا في المنازل :

من ذلك أن أحد الفرنسيين كان في جولة في الجنوب التونسي أين أدركته عاصفة أجهتته إلى منزل أحد الأهالي هناك، ويدخله إليه فوجئ بصورة القيصر وأبناؤه من حوله وعلى رأس كلّ واحد منهم شاشية...

ويسؤاله لصاحب المحلّ عن مصدر الصّورة أجابه بأنّها أعطيت له - في أحد شوارع العاصمة - من شخص لا يعرفه⁷³ !

كما أن أحمد توفيق المدني - أحد طلبة جامع الزيتونة أثناء الحرب - عشر - بعد مداومة محله وتفتيشه على إثر عشور السلطات الفرنسية على معلقات ألصقت على أحد أبواب جامع الزيتونة - بين أوراقه على رسم (portrait) لغيليوم الثاني وآخر للإمبراطورة، إلى جانب عدّة وثائق أكّدت للسلطات الإستعمارية ولاء "للخارج"، فأودعته السّجن طيلة مدّة الحرب⁷⁴.

إنّ تعاطف مسلمي شمال إفريقيا مع ألمانيا وإمبراطورها لم يكن في حاجة إلى الإثارة، حتّى أنّ بعض الألمان لمسوا بأنفسهم أنّ صفتهم تلك كانت وراء الحفاوة التي كان أهالي الجزائر ومصر يستقبلونهم بها، "ففي كلّ المستعمرات الفرنسية والإنجليزية - على حدّ اعتراف السلطات الفرنسية نفسها - كانت رسوم الإمبراطور الألماني تزيّن جدران المنازل"⁷⁵

72 - ديسيامي، بعض أصداء... مرجع سابق، ص 46.

73 - دودي، مرجع سابق، ص 6-7.

74 - Institut Supérieur de l'histoire du mouvement national, série : Tunisie 1917-1940, Carton 61,

bobine 39, document n°2, folio 46

75 - برنارد، ألمانيا والإسلام... مرجع سابق، ص 18.

* كشافه حضور ألمانيا في الأغاني الشعبية :

إنَّ استعمار فرنسا وحلفائها للدول الإسلامية وعجز هذه الأخيرة على مواجهة القوى المستعمرة لها جعلها تتحاز شعوريا نحو ألمانيا حليفة الخلافة ، والتعويل عليها في نصرة الإسلام ومجدة المسلمين ، وتبعا لذلك وقفت السلطات الفرنسية نفسها - في بلدان المغرب العربي - على دلائل ذلك الولاء علنا وعلى مستوى شعبي: ففي الجزائر ثمت - في فيفري 1915 - معاقبة أحد الأهالي بشهر سجن وبخطبة قدرها 200 فرنك لأنه صاح "تحى ألمانيا وتسقط فرنسا..."⁷⁶

أمَّا في تونس فإنَّ التلميذ الشاذلي خير الله عبّر علنا عن أمنيته في انتصار ألمانيا، فلم ينج من عقاب السلطات الإستعمارية إلا بفضل والده خير الله بن مصطفى⁷⁷ ، وفي أحد المدارس صاحبت ابنة أحد كبار الثياد "تحى ألمانيا"!!⁷⁸.

إنَّ رفع تلك الشعارات يعكس في حقيقة الأمر مشاعر الحقد والثمة على العدو المستعمر للبلاد من سگان عاجزين على الإنتصار عليه، فتجلى عجزهم في الإنتصار لألمانيا التي كان كلُّ "الناس إلى جانبها" وفق ما أكدته ذاكرة العديد من التونسيين⁷⁹ إذ كان ينظر إليها في الأوساط الحضرية بالخصوص على أنها القوة الوحيدة القادرة على دحر القوة المهيمنة.

إن ذلك الإيمان بمقدرة ألمانيا جعل العامة ترى غليوم "قويا مثل الفهد"⁸⁰ ملقبة إياه بـ "المنصور" وبـ "قدور"⁸¹ ، وقد أجمعت الأغاني الشعبية على انهزام الفرنسيين وانتصار الألمان⁸² الذين سيزحفون

76 - مابني (ج) : "الولا، وانعدام الأمن في الجزائر أثناء حرب 1914 - 1918". (بالفرنسية). في الكراسات التونسية. عدد 73 - 74 الثلاثي الأوّل والثاني 1971.

Meynier, G., "Loyalisme et insécurité en Algérie pendant la guerre de 1914 - 1918", *Les Cahiers de Tunisie*, t. XIX, n° 73/74 (1e et 2e Trimestre) 1971, pp. 183-207, p. 197

77 - قول شابين مرجع سابق، ص 14

78 - نفس المرجع، ص 130

79 - نفس المرجع، ص 140

80 - أجرون . مرجع سابق، الجزء الثاني، ص 1176

81 - مابني، الجزائر المكتشفة ... مرجع سابق، ص 620

82 - نفس المرجع، ص 620

على فرنسا ويدمرون باريس، كل ذلك "يفعل غليوم المرعب الذي يضرب في السماء بمناطيدته وتحته الماء بواسطة غواصاته وعلى سطح الأرض بواسطة عيارات " 420!!⁸³، وبذلك "يمحق الفرنسيون بواسطة أولئك الأسود الأتراك والألمان..."⁸⁴ و "تعود الجزائر إلى ما كانت عليه سابقا قبل الاحتلال الفرنسي"⁸⁵ و "ينهض عرب كل الصحاري..."⁸⁶ كل ذلك بفضل غليوم الثاني "المنتصر كسيرة أمم..."⁸⁷.

لقد تجسدت معاني التشفي من الإستعمار والإنحصار عليه "من خلال الآخر" بشكل واضح في القصائد الشعبية التي راجت في عدة جهات من بلدان المغرب العربي، فشكّلت بذلك متنفسا لشعوب مقهورة حاكت - بعد عجزها على تحقيق انتصارات في الواقع - انتصارات في خيالها الشعبي، أملّة أن يتحقّق أملها ميدانًا خصوصا بعد الإنهزامات الأولى والعديدة للحلفاء بالخصوص في الدردنال.

لقد أشارت المصادر الفرنسية نفسها إلى تعدّد "النبؤات" ورواجها في الأوساط الشعبية كذلك مثلا "المنسوبة، للولي المصري زركاوي والمعلنة - سنة 1915 - عن قرب ساعة الخلاص"⁸⁸، كما تكاثرت "المداخون"⁸⁹ والمغنون السّاحرون والمثيرون للعامة بما احتوت عليه أغانيهم من عدا و واضح للإستعمار الفرنسي والتّشهير بالنّصر لألمانيا :

83 - مايبني. الجزائر المكتشفة ... مرجع سابق، ص 620. أجرون - مرجع سابق، الجزء الثاني، ص 1177. انهامش الأول، أجرون. مرجع سابق، ص 1177.

84 - أجرون، مرجع سابق، ص 1117.

85 - مايبني الجزائر المكتشفة... ص 620 أجرون الجزء الثاني، ص 1177.

86 - أجرون، مرجع سابق، ص 1117.

87 - نفس المرجع.

88 - نفس المرجع 1183

89 - المداح مغني متجول ينشد قصائد وحكايات في السّاحات العمومية بقاية جمع المال ويكون - في غالب الأحيان - مصحوبا بشخصين أو أكثر يشكلون جوقة. انظر أخيل (ر.)، "ألعاب وترقيده أهالي الجزائر منطقة برج بوعريرج" (بالفرنسية) في المجلة الإفريقية. الثلاثي الأول 1920. ص.ص 62 - 84.

Achille, R. "Jeux et divertissement des indigènes d'Algerie (Region de Bordji - Bou - Arréridj)", *Revue Africaine*, 1^{er} Trimestre (1920), pp. 62-84

من ذلك أنه من جملة 38 مقطع شعري جمعه المستعرب جوازف ديسبارمي Joseph Desparmet لا وجود إلا لأربعة مقاطع فقط مؤيدة لفرنسا منها ثلاثة صدرت عن يهود، ونفس الانطباع يصح بالنسبة إلى بقية الأغاني والأشعار التي قُمت دراستها والتي كلها - بدون استثناء - تتمنى النصر لألمانيا والهزيمة لفرنسا⁹⁰ :

إن من تلك المقاطع الشعبية تلك المنشذنة عن "انتصاب بروسيا في البلاد وإحاقها للمسيحيين بهزيمة نكراء جعلتهم جيشا للكلاب"⁹¹، كذلك تلك المخاطبة للجزائر بقولها : "أيها الجزائر هذه بشرى لك : أعلام خضراء تذروها الرياح، سيأتونك في الصباح الباكر على نغمة الدفوف والمزامير، وعلى وقع الإنشاد ترتفع اللعنات الموجهة ضد الحلفاء :

"ياحي ياقيوم	*	*	الله ينصر الملك فليوم
ياربي ياذا الملك	*	*	الله يخذل جيش المسكو
نوصل لك بالخواص	*	*	الله ابذل إجبوش لا فرانص
ياجبّار ياعزيز	*	*	أخلي الملك من جنس الانقلبز
أمين أمين أمين	*	*	أمين يارب الملامين ⁹²

90- ماينتي، الجزائر المكتشفة... مرجع سابق، ص 620

91 - أجرون، مرجع سابق، ج 2، ص 1183. الهامش 2.

92 - ديسبارمي (ج) : "الأغنية في مدينة الجزائر أثناء الحرب الكبرى" (بالفرنسية) في المجلة الجزائرية (1932)، ص. 54 - 63

Desparmet, J., "La chanson d'Alger pendant la grande guerre", *Revue Algérienne* (1932), pp. 54-83, p. 83

نشكر السيد يحيى برعزيز الأستاذ بمعهد التاريخ بجامعة وهران بالجزائر الذي أمّدتنا بنسخة من هذا المقال بعد أن تعذر علينا العثور عليه بالدرّيات المتفرقة في أرشيفات بلادنا

لقد كانت " أغنية غلبوم الثّاني " (غنية متاع الحاج قليبوم) ⁹³ من أشهر تلك الأغاني الشعبيّة وأكثرها رواجاً باعتراّف مصالحي الاستخبارات الفرنسيّة نفسها، فقد ظهرت الأغنية المذكورة منذ الأيّام الأولى لاندلاع الحرب وذلك في أحياء عاصمة الجزائر، لتروج في القاهي العربيّة بالمدينة وتنتشر في مدّة وجيزة بين سكّان البلاد حتّى حدود الصحراء، كما وصلت تونس وعصّة كامل الغرب الجزائري ⁹⁴ لقد ركّزت مقاطع الأغاني الشعبيّة على صبّ نعمة الأهالي على الحلفاء، مقابل الدّعاء بالتمكين لجليوم الذي بفضل قوّته الضّاربة بإمكانه سحق العدو وتحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي، ومن تلك المقاطع نذكر :

يا الفرنسيّ واش في باللك	* الجزائر ماشي دبالك
يجي لالمان يديها لك	* لا بد ترجع كيف في الزمان
ايي اي كي نعملّ له	* الحاج فيوم يطلّع سعده ⁹⁵
الموسكو راه مات	* لالمان ادفن اعظامه
وفرنسا راهي خللات	* لانتقليز يندب في ترامه
والزّين عذّب قلبي يالامي	* والزيّن عذّب قلبي يالامي ⁹⁶

تلك هي - في حدود إطلاعنّا - أهمّ تجلّيات صورة ألمانيا في المخيال الشعبي لسكّان المغرب العربيّ أثناء الحرب العالميّة الأولى، وهي صورة تعكس ميولات نحو ألمانيا التي بدت لهم - نظرا لظروفهم الإستعماريّة - كنصير من شأن انتصاره على فرنسا أن يمكن بلدان شمال إفريقيا من استرجاع سيادتها، خصوصا وأنّ هذا "الولاء" من الدّاخل ساند دعم العديد من العناصر الوطنيّة في الخارج والتي نشطت

93 - نفس المرجع، ص 55.

94 - نفس المرجع، ص 54.

95 - نوشي (أ.أ.): "نشأة الوطنيّة الجزائريّة (1914 - 1954)" (بالفرنسيّة)، منشورات مينيوي، 1962.

Nouschi, A., *La naissance du Nationalisme Algerien 1914- 1954*, Paris, Edition de minuit, 1962, p.

أساسا من ألمانيا وسويسرا والدولة العثمانية.

وفي هذا المستوى التفت آمال الفئات الشعبية - في الداخل والمساعدة خارجيا بعمل الوطنيين في المهجر - بمصالح ألمانيا بفتح جبهة جنوب المتوسط بحجر فرنسا بالخصوص على تشتيت قواتها، لذلك وقع التخطيط لعمليات إنزال للغوصات الألمانية في طرابلس الغرب بعد أن تقرّر أن توكل المهمة إلى علي باش حانية في وقت التهرب فيه الجنوب التونسي 1915 - 1916 والجنوب الجزائري 1916 .

وبذلك ربطت الفئات الشعبية في الداخل والوطنيون في المهجر مصير بلدان شمال إفريقيا بكل من تركيا وألمانيا وبالتالي بنتيجة الحرب ، غير أنّ بداية تفهقر الامبراطوريات الوسطى وموت أبرز الزعماء الوطنيين في المهجر - اسماعيل الصغابحي 1917 وعلي باش حانية 1918 - أدى إلى خيبة أمل بعد أن أخطأت كلّ الحسابات.

ملحق عدد 1

قائمة ممتلكات الرعايا الألمان المحجوزة بالبلاد التونسية

بين نوفمبر 1914 وديسمبر 1915

تاريخ صدور قرار الحجز بالرائد الرسمي	أنواع الممتلكات المحجوزة
1914/11/25 عدد 106 في 1002	<ul style="list-style-type: none"> - La société Loeb et Compagnie, Calstruh-Société allemande (S.all) à Alger et à Tabarka- - La société allemande de Bienfaisance à Tunis
1914/12/2 عدد 108 في 1010	<ul style="list-style-type: none"> - La maison Kimmelsbach-(S.all) du Commerce de bois à Fribourg. - La maison Condilius Heyl-(S.all) du Commerce de Cuirs et peaux à Worms-sur-Rhin - La maison S.Strauss, société allemande, amidonnerie à Offenbach-sur-Main. - La maison Chemische fabriken Worm weiterter Meer, société allemande à Nerdlingen. - MM. Bartosik et Compagnie, société allemande, de Luckenwald. - La Société des Verres de Gerresheim près de Dusseldorf. - La Schwirgel fabrik, firme allemande de Herrburg - La maison Straupeter-Sujet allemand, minotier à Ebba-Ksour.
1914/12/9 عدد 110 في 1017	<ul style="list-style-type: none"> - Henrich Brinkmann et Compagnie, s.all. - David Mark mann Engels et Andreissen, s.all. - La Société Neuwieder Couverfabrik, s.all.
1914/12/12 عدد 111 في 1021	<ul style="list-style-type: none"> - Les chantiers de la maison allemande Diekeroffe établis à Djilma, Sbeïla, Kasserine, tholept, Medjel-bel-Abbes, Mazzouna, Meknessy, Ain-zannouche Sued et Gafsa - La propriété "EL Agair" à Sfax
1914/12/26 عدد 115 في 1042	<ul style="list-style-type: none"> - Rosenkranz et Compagnie, s.all. - Comptoir d'escompte de Mulhouse, s.all. - La société agricole et cotennière de Tunisie, s.all. et austro-hongroise - Les intérêts allemands dans la société des fonderies de Megrine - La société des minerais de Liège, s.all.

<p>1915/3/20</p> <p>عدد 23 ص 128</p>	<ul style="list-style-type: none"> - La société Badisch Assicuranz Gesellschaft de Mannheim, s.all - Meyer et Compagnie de Cologne et Berlin, (s.all) et austro-hungroise, - La société Grauvogel et Compagnie de Saverne, s.all . - Kupper Hesselmet et compagnie de hamberg, s.all . - La maison Chemnische fabrik Isis de Berlin - La maison Sucker et Compagnie, s.all . - La Stock Motropilug de Berlin, s.all . - La maison Badische Ulrem fabrik de Furtwangen, s.all . - La Société Firder Anton, Kobbe et Compagnie, de Goepperdorof, s.all - La société Adolph Liebau et Compagnie, (s.all) de Berlin - La Société Ottmar Merten Niktiform fabrik et Strashourg, s.all - La Société Schmiel et Compagnie de Neltiz près de Leipzig, s.all . - La société L.Strantz et Compagnie de Milan, s.all . - La société H.Nicke et Compagnie de Kasser, s.all . - La société Suciores de Gross et Linhoff de Malaga, s.all . - La société Kinecht Adolphe et Compagnie de Darmstadt, s.all - La société Gohn et Compagnie de Planen, s.all . - La société A.E.Schulze et compagnie de Hambourg, s.all . - La société G.Klingmann et Compagnie de Berlin, s.all . - La société Haask et Compagnie de chemnitz, s.all . - La société Loeb et Compagnie de Nuremberg, s.all . - La société L.Auerbach et Compagnie de Nuremberg, s.all . - La société Max Kraft et Compagnie de Nuremberg, s.all . - La société Guldner et Compagnie de Pforzheim, s.all .
<p>1915/2/6</p> <p>عدد 11 ص 59</p>	<ul style="list-style-type: none"> - "La Victoria de Berlin", Compagnie d'assurances sur la vie s.all - La maison Farwerke Worm Meister Lucius et Bruning, maison allemande - La société Burkhardt et Compagnie, s.all . - La société Badische Anilin et sadak fabrik, s.all . - La société allgemeine Elektricitat Gesellschaft, soci.all. - La société steinger fabrik Golditz, s.all . - La société Mannheimer Versicherungs Gesellschaft, Compagnie d'assurances maritimes, s.all . - les interêts allemands dans la société minière de Fedj-el-Adoun - Les interêts allemands dans la société minière du Djebel-el-Hallouf. - Les interêts allemands dans la société mines du Djebel-Touila - Les interêts allemands dans la société mines de Bazina - La Société du Comptoir d'exportation du Haut-Rhin, s.all .
<p>1915/4/21</p> <p>عدد 32 ص 172</p>	<ul style="list-style-type: none"> - La Société Brenefeld et Comagnie de New-Welton, s.all . - La Société Gottfried Wegersberg et Sohn de Solingen, s.all . - La Société B.Arèns et compagnie de chemnitz, soci.all. - La Société Haferichner et Compagnie de Plankenstern, s.all - La société F.Valentin et Sohn de Haß, s.all . - La Société Broe Kelman, Jaeger et Busse de Neheim, s.all . - La manufacture de métaux de Herndorf, s.all .

	<ul style="list-style-type: none"> - La Société Ernst Kunhen et Compagnie de Berlin, s.all. - La Société Kunert et Compagnie de Lietanetz - La société F.Kunzmann et Sohn de Sileberbach, s.all. - La société Ed.Molinens Sohn de Barmen, s.all. - La société Rheinisch topten Fabrik de Benel-sur-Rhin, s.all. - La société Bluen et Compagnie de Berlin - La société Schadlich et Compagnie de Illefeld, s.all. - La société Mannheim et Compagnie de Francfort, s.all. - La société société Béca Reard act.ges.correspondenz abteilung de Berlin, s.all. - La société Adolph Liban et Compagnie de Berlin, s.all. - La société Planner Spitzenfabrik de planet, s.all. - La société Meister Lucius et Druming de Hoechst-sur Mein, s.all. - La société Export parfumerie fabrik de Coln Ehrenfeld, s.all. - La société Eugene Wallach et Compagnie de Aubervilles, s.all. - La société Odol chemikal works de Paris et Londres, s.all. - La société A.Oskermann et compagnie successeurs de W.Klaar de Paris, s.all. - La société Arntz et Hannes de Kullenhahn, s.all. - Les établissements Fr. Grappel de Bochum, s.all.
1915/8/5 3 2	<ul style="list-style-type: none"> - Grubet et Sohn, s.all. - Muller et Compagnie, s.all. - Ackerman et Compagnie, s.all. - Bodenheimer et schuster et compagne, s.all. - La chemisth fabrik Eisenarath, s.all. - Condensed Mik, s.all. - Calvin valerie et compagne, s.all. - La Deutsche Gasgluklich action Gesellschaft, s.all. - La maison Globus, s.all. - Hauer et Compagnie, s.all. - Heibel et Compagnie, s.all. - Heine et compagne, s.all. - With. Holland Merten et Compagnie, s.all. - Vonder Hoen et Compagnie, s.all. - Klingel Lendermann Friburger Uhrenfabrik, s.all. - Kommertz Hottges, s.all. - H.Kistner et Compagnie, s.all. - La Munschner Eggenfabrik Akbengeschaft, s.all. - William Raah et Compagnie, s.all. - A.Stranss et Compagnie, s.all. - La société anonyme de Usines Gritzner, s.all. - Swabe et Compagnie, s.all. - Robert Ziun et Compagnie, s.all. - Vagner et Compagnie, s.all. - Widmann et Compagnie, s.all.

<p>1915/9/8 عدد 72 ص 369 - 370</p>	<ul style="list-style-type: none"> - La Société Spitzen fabrik Birkigt et Compagnie de Grimma, s.all. - La société Joshbakth stieber et sohen de Wurenberg, s.all. - La société S.Siedle et Sohn de Furtwangen - La Société Dittersdorfer Filizind Kratzembruch fabrik de Dittersdorfer, s.all. - La société Ghosheiten Werke Joseph Knizech de Ullendorf, s.all. - La société chr.Muller et Sohn de Bergnen stard, s.all. - La Société Ferd Von Hagen Sohn et Kock de Vohwenkel, s.all. - LA société H.Strakosch schuwaren fabrik de Kuttmerg, (s.all). La société ch.H.webendorfer et Sohn de Lechtentein, s.all. - La société L.Stam et Compagnie de Deutch Catarinemberg, s.all. - La Société L.Zimmermann et comagnie de Deutch catarinemberg. - Les établissements Frigel de Schomberg, s.all. - La société Flachs et Hauf, spinerei de Krumman, s.all.
<p>1915/11/3 عدد 88 ص 431 - 482</p>	<ul style="list-style-type: none"> - La Société Allgemeine Gluklicht werke de Berlin, s.all. - La Kosmos flaschen de Berlin, s.all. - La Lyroplonwerke de Berlin, s.all. - La Metallurven Fabrik de Pforzein, s.all. - la Société Sloneck et compagnie de Leipzig, s.all. - La Tonisteiner sprudel de Brohl-sur-Rhim, s.all. - La 3Universelle Cigaretten machine industrie" de Dresde, s.all. - La Vereinigte Etnisfabriken de Pforzheim, s.all. -La Vereinigte Berlin francfurten Gummiwaren fabriken de Berlin.
<p>1915/12/29 عدد 104 ص 529</p>	<ul style="list-style-type: none"> - La société Fr.Stubgeer et compagnie - Erfurt, s.all. - La société Volkmar Hanig et Compagnie de Heldeman, s.all. - La société John balth sliemande. - La société alsacienne d'alimentation de strasbourg, s.all.

الملحق عدد 2

أما بعد نعم الصديق اعلم ان الله تبارك وتعالى قد رزق الاسلام بسيد لا يتبع فرض ولا سنن * وهو نعمة لا ينالها جنس وبسيد أهل الكفر والحن * وهو في قوله صديق * فجعله الله للمسلمين رفيق * وهو فارس شجاع معام * فلو نظرت حقيقة أمره مع المسلمين لقلت لا شك أنه من أهل الكرام * الذين تركوا الأوثان والصلبان واتبعوا ما نزل على سيد الإنام * سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * فبسبب محبته للاسلام رزقه الله الحبة والقبول * وجميع أهل الأروية تخافه من نفرتة خصوصا اذا كان اتفاقه مع أمير سطنبول * حقيرا ناصحا * ونجا صحبا * وهو سلطان الأتانيين * فارجوا من المولى تبارك وتعالى يمد بالتصر المبين * حيث لا يطيق عليه جميع من على وجه الأرض * في جميع الأقطار طولها والعرض * ولا يخفى عليك سفره لبلاد الشرق والغرب قاصدا لزيارة أحبائه حيث قال بعضهم شعرا في المعنى :

زر من تحب ولو شئت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

لا يبعدنك شغل عن زيارته * أن المحب إلى المحبوب زوار

فامتلات قلوب المسلمين بذلك فرحا وسرورا * وتيقنوا بان نجم الاسلام لازال طالعا يضيء مثل الزهرا * واشتهر خبر هاته الزورة في جميع الاقطار والبلدان * وهنوا بعضهم بالسعادة والغفران * وقالوا لبعضهم بعض بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا * من العناية ركننا غير منهدم * لا سيما حين خطب خطبته لسيدنا ناظم ياشا عامل بلاد الشام * فمن كلامه وتعظيمه للاسلام ترحزحت قلوب المنافقين والأوهام * وتكد من كان طامعا في تغيير أهل الإيمان * وانسبطت قلوب أولى النهي والقران * وحزقوا لذلك جميع من هو في حزب الشيطان * فهذا كله فضلا من القناع الرزاق النان * والذي اشهره في خطبته اعلموا اخوانكم المسلمين الذين عددهم ثلاثة مائة مليون على وجه الأرض. فأنا محبتهم وصديقهم ونصيحهم وقامر أعدائهم واجب على مثل الفرض * ولا زال على هاته السيرة يظهر محبته للاسلام مثل محبة الوالد للمولود * فهذا كله ببركة سيد الوجود * ولما سمع بالدعوة القرافصوية والانفليزية * ارادوا ان يفتحوا الغرب فذهب إلى طابجة * راكبا في استول وخطب لهم خطبته وجلت منها القلوب * وتفرغرت عيون الحبين

إلى الله والمحبوب * وقال في كلامه الغرب حر ولا يفتحه أحد * فلا تخافوا ولا تحزنوا فانا مبيد
نمل أعدائكم بالقوة والجهد * وجميع الأجناس يجتمعون في مجلس الجزيرة الخضراء * فجلسوا
واجتمعوا وافترقوا على بعض المصالح والتبديل * ورفع يد النصاري على بلاد المغرب وسلك مملكة
مولانا السيد عبد العزيز الجليل * ورد الله كيد الأعداء في نحرهم * هذا ما فعل سلطان
الأندلس لنا من الاحسان الجميل والعروف الاعظم * والامتنان الاكرم * فارجوا من امولى تبارك
وتعالى ان ينظر إلينا واليه بعين الرضى والنصوب * ولا يغير محبته لنا بجاء الرسل والأنبياء
والأقطاب * وتدعوا له ان يخرج عن حزب أهل الكفر والطغيان * ويتبذل لعبادة صاحب الفرائد
* ويجعله الله قاهرا لأعدائه منصورا * وسيقه على الحق مشهورا * لأن طبعه طبع الجود
والادب * وفعله تابعا لسيدنا علي بن ابي طالب * قبيحة الاسلام حيث كان في اعانتهم يصير
مثل الليث الغالب * والاسد الضارب * ولا ينجلي من سطوته هارب * ولا يدركه مطالب * لما فيه
من الشجاعة والبطش والعدل في قومه * فبذلك ينصره الله على جميع أعدائه * وله في الاسلام
محبته زائدة ولولا ذلك لكان يتفق مع أعداء الله ورسوله ولا يهلهم رويدا * لانه صاحب صدق
وامان جدا * ومن كان على هذه الفعال لا ينخذل ابدا * حيث قال تعالى ولا يظلم ربك أحد
هذا ما منى إليك والسلام في البدا والختام

كتب بالجزائر بتاريخ 23 نفاير سنة 1906 ويبدع عبد ربه فلان.

المصدر :

Desparnet, "Quelques échos de la propagande allemande à Alger" dans
Bulletin de la Société de Géographie d'Algérie et de l'Afrique du Nord,
t.XIX (1915), pp : 46-73, p 72-73,